الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح –ورقلة-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

صورة الطفل في الأدب العربي القديم

مذكرة متممة لنيل متطلبات شهادة الماستر

إعداد الطالب:
الدكتور:
قطافي تقي الدين
العيد

إشراف
جلولـــــي

الموسم الجامعي: 2017 – 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء:

يطيب للقلب أن أهدي هذا العمل إلى روح أمي "طيّب الله ثراها" كانت ولازالت دعواتها وقاء لنا

إلى أبي سندي في الحياة ، إلى زوجتي الغالية ، إلى ابنتي التي كانت خير عوض لي في الدنيا

إلى الأب الروحي الأستاذ الدكتور جلولي العيد الذي كان لي خير معين في هذا العمل

والذي لم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات أدام الله له الصحة والعافية

إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب كان أو من بعيد

مقدمـــــــة:

على وصف النقاد للأدب أنّه مرآة عاكسة لمختلف الظواهر بحث المهتمون بالأدب عن مختلف الصّور ولكنّ الأمر لم يكن بهذه السهولة إذ أنّ هذه المرآة بدت مستويةً أحياناً ومقعرة أو محدبة أحيانا أخرى ، وهو الأمر الذي حال دون الوقوف على وصفٍ واحد للصور ، لذلك تبقى الدّراسات الأدبية المتعلقة بهذا الجانب نسبية ، قابلةً للأخذ والرّد فيها.

الطّفل شخصية يشوبها الغموض من حيث الحضور والغياب في الآداب القديمة ووجهة نظر المبدعين إليها ، هذه النّظرة التي تحرّكها خلفيات متعددة وإيديولوجيات وعقائد ، وهو الأمر الذي كان وراء ضبابية صورته في مختلف الأجناس الأدبية القديمة لذلك ارتأينا إجراء كشف عن هذه الصورة في أرشيف أدبنا العربي القديم ، ومعرفة أبعاد شخصية الطفل من خلال عنوان **"صورة الطفل في الأدب العربي القديم"**.

هذا العنوان الذّي من شأنه أن يفتح باب التساؤلات على مصراعيه ، ما مكانة الطفل في مجتمعنا القديم ؟ وما مكانته بين أهل الإبداع على وجه الخصوص ؟ ثم ما أسباب حضور أو غياب هذه الشخصية الفعلية أو الرمزية في الأدب؟ وما سماتها؟ ثم أيّ الأجناس الأدبية كان أكثر انفتاحاً على الطفل؟

كل هذه التساؤلات وغيرها كانت دافعاً قويا لفتح باب البحث في هذا الموضوع ، ثمّ رغبتنا في رسم خطوط تحدّد معالم التعامل مع صورة الطفل في الأعمال الأدبية ، إذ أنّ هناك إمّا تجاوزات أو إجحافاً في الصّورة.

لذلك فطبيعة هذا الموضوع تدفع بنا إلى اعتماد أكثر من منهج ، منهج وصفيّ تاريخي يعيننا على تقصي صورة الطفل عبر العصور الأدبية ، ومنهج نفسيّ يعلّل لنا سبب ظهور الطفل بملامح معيّنة دون أخرى في أعمال الأدباء.

ولأجل هذا اخترنا أن تكون سبل الكشف في فصلين ، الأوّل تنظير والآخر تطبيق ، يسبقهما مدخل وتليهما خاتمة ، وفيما يلي نظرة على مضمون خطّة البحث:

مقدمـــــة أوضح من خلالها الخطوط العريضة لهذا الكشف.

مدخل وفيه استقصاء لمعاني الطّفل والطّفولة عند أهل اللّغة والاصطلاح نستقيها من ثنايا المعاجم والقواميس والكتب التي حاولت سبر أغوار هذه الشخصية – الطفل – والمرحلة – الطفولة –.

أمّا بالنّسبة للفصل الأول الذي جعلناه تنظيرا فقد اخترنا أن يكون مجالا مفتوحا لعرض مكانة الطفل وموقعه من الدراسات والعقائد والأعمال الإبداعية ، كعلم الاجتماع الذي اهتم بالطفل من حيث تنشئته وتأديبه وغيره ، وعلم النفس الذي جعل للطفل مساحات كبيرة لأجل إدراك كنهه ، والسياسة التي أسهمت في رسم صور مختلفة للطفل عبر حقب زمنية مختلفة ، والدّين الذي أرسى قواعد تضبط معاملات باقي فئات المجتمع مع الطفل وحقوقه ، ثمّ الأدب وهو أهم المباحث في هذا الكشف ، إذ حاولنا من خلاله تقديم نظرة مجملة عن موقع وصورة الطفل في مختلف الآداب على اختلاف أجناسها.

أمّا الفصل الثاني فقد جعلناه مساحة للجانب التطبيقي من خلال البحث عن صورة الطفل في جملة من الأجناس الأدبية العربية القديمة شعرية كانت أم نثرية ، وتقع تحت هذا الفصل مباحث ، كلّ منها يختص بجنس أدبيّ معين ، مستوحاة من فترات زمنية مختلفة ، فبحثنا عن صورة الطفل اليتيم والفقير والمغرر به وغيره ... وذلك من خلال نصوص الأسطورة والحكاية الشعبية والشعر والمقامات ووصايا العرب القديمة.

ثم ختمت هذا الكشف بخلاصة حول أهم النتائج المتوصل إليها والتي تتعلق أساسا بالطفل والطفولة ووضعيتهما في النصوص الأدبية القديمة ، كما حاولت الإجابة على جملة التساؤلات المطروحة في المقدمة.

كل هذا وغيره استقيناه من مصادر ومراجع عديدة لعل أبرزها:

- ✓ القرآن الكريم.
- ✓ ربى شحاده صابر سماره ، صورة الطفل في الشعر الجاهلي.

- ✓ أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس.
- ✓ الحريري ، مقامات الحريري.
- ✓ رحمونة محاجي : أزهار نيسان في ذكر محاسن تلمسان (حكايات وأساطير).
- ✓ عمارة محمود محمد ، تربية الأولاد في الإسلام .
- ✓ عبد المقيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب.
- ✓ سهام مهدي جبار ، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية.

وغيرها من الكتب والمجلات والرسائل.

وممّا لا شك فيه أن كل بحث لابدّ وأن يمرّ صاحبه بمطبات وصعاب يواجهها خلاله ، ومما واجهناه في هذا البحث اتساع مضامينه وعدم وضوح النقاط التي يتوجب علينا معالجتها فيه إلا بعد قراءة مستفيضة لبحوث مشابهة أو قريبة منه ، فهو موضوع شامل مجمل ، ومع قلّة خبرتنا في البحث العلمي فقد بدت لنا فروع البحث متاهة في البداية ، بالإضافة بعض الإشكاليات التي اعترضتنا بخصوص مصطلحات ما يزال الخلاف حولها قائما بين الدارسين والباحثين.

الفصل الأول:

"موقع الطفل من الدراسات والعقائد والإبداع"

1- الطفـــل وعلم النفس.

2- الطفـــل وعلم الاجتماع.

3- الطفـــل والسياسة.

4- الطفـــل والدين الإسلامي.

5- الطفـــل والأدب.

تمهيـــــــــد:

يعدّ الطفل مادة دسمة لمختلف الباحثين في شتى الميادين والمجالات ، ذلك مرده الأهمية التي يكتسيها هذا المخلوق لدى مختلف مجتمعات العالم فهو مستقبل الأمم وأمل بقائها ، لذلك لا يكاد علم من العلوم الإنسانية يستثنيه بل منحت له مساحات واسعة للدراسة والبحث ، وسيتجلى ذلك أمامنا فيما سنقدمه خلال هذا الفصل.

1- الطفل وعلم النفس:

يتداول الكثير من المهتمين بعلم النفس تعريفات توصف بالمألوفة من ذلك ما أورده الدكتور "أحمد عزت راجح" في كتابه الموسوم "أصول علم النفس" في قوله: "العلم الذي يدرس الحياة النفسية وما تتضمنه من أفكار ومشاعر وإحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات"[1] ونلمس من خلال هذا التعريف محاولة للإلمام بجميع المناحي التي يهتم بها هذا العلم و مختصوه ، ومن المفاهيم التي ذكرها كذلك قوله: "العلم الذي يدرس أوجه نشاط الإنسان وهو يتفاعل مع بيئته ويتكيف معها"[2] وهو مفهوم يعد مكملا ومتمما للتعريف السابق.

ولكن ما يهمنا من هذا العلم فرعه المتعلق بالطفل والطفولة أو ما يسمى بعلم نفس الطّفل.

من المسلم به أن العالم اليوم يولي هذه الفئة من المجتمع اهتماما بالغا خاصة وأن الطفل يعد مستقبل الأمم والحضارات .

يذكر "ألفت حقي" أستاذ علم النفس الإكلينيكي" في جامعة القاهرة من خلال كتابه "سيكولوجية الطفل" أن "موضوع الطفولة هو النمو والنمو معناه الارتقاء الكمي والكيفي للأشياء ... فالطفل يتعلم كيف يتكلم وكيف يبحث وكيف يستجيب

---

[1] أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1968 : ط 7 ، ص:3

[2] أحمد عزت راجح ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وهذا نمو كيفي أمّا الكمي فهو الازدياد طولا وعرضا ووزناً"[3] ، الواضح من كلام الأستاذ ألفت أن النمو الكيفي يمثل الجانب السيكولوجي النفسي للطفل أما الكمي فهو نمو فيزيقي جسمي.

وتسعى الدراسات المتعلقة بنفس الطفل وسيكولوجيته إلى تقديم يد العون للمربي في تواصله وتعامله مع الأطفال من أجل دمجهم تدريجيا في الحياة الاجتماعية .

يركز الباحثون في علم نفس الطفل على الجانب العقلي أو العمليات العقلية المتمثلة في الإدراك والذكاء وغيرها ...هذه الأخيرة ترتبط بمؤثرات عديدة منها ما هو متحكم فيه كالظروف البيئية والاجتماعية ... ومنها ما هو فطري وراثي.

نفهم من خلال هذا الطرح المقتضب أن الطفل لاقى اهتماما كبيرا من الباحثين وعلماء النفس الغربيين والعرب على حد سواء ، يظهر ذلك في كثرة المؤلفات والكتب والبحوث القائمة في المجال ، بالإضافة إلى الملتقيات التي اتخذت الصفة العالمية قصد الاستفادة من خبرات العلماء من مختلف المجتمعات والثقافات.

2- الطفـــل وعلم الاجتماع:

غير بعيد عن علم النفس نجد علم الاجتماع كذلك يخصص مساحة واسعة من بحثه للطفل والطفولة ، فحاول الباحثون في هذا المجال الغوص فيما يسمى بالتنشئة الاجتماعية للطفل باعتباره المادة الخام لها ، والهدف من ذلك وضع شروط للوسط الذي يعيش فيه ليسمح له بالنمو السليم اجتماعيا.

"تعتبر التنشئة الاجتماعية من العوامل الرئيسة التي تسهم إلى حد كبير في تشكيل شخصية الإنسان وتوجيه سلوكه"[4]. وهي أهم العمليات الاجتماعية للطفل ، وهي الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية هي العملية التي تتعلق بتعليم ما يجب وما لا يجب أن يفعله الفرد في ظل الظروف المختلفة ، فهي

---

[3] ألفت حقي ، سيكولوجية الطفل ، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996: (د.ط) ، ص: 10

[4] زينب إبراهيم العزبي ، علم الاجتماع العائلي ، ص 95

تنسب أفراد المجتمع القيم والرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي يشارك فيها تيسر للفرد عملية التعامل مع البيئة التي يعيش فيها.

ولا يقف علماء الاجتماع عند هذا الحد بل يبحثون في العوامل المؤثرة على النمو الاجتماعي للطفل ، والتي من أبرزها : "الوراثة والبيئة والأسرة والمناخ والطقس"[5]

ومن هذه العوامل ما يعد الباحثون مؤسسة للتنشئة الاجتماعية للطفل وعلى رأسها الأسرة التي لها أثر بالغ الأهمية في التطبيع الاجتماعي.

وتعد المدرسة كذلك مؤسسة اجتماعية رسمية تقوم بوظائف التربية والتعليم ومن شأنها تقويم سلوك الطفل ، كما أنها تسعى لترسيخ مبادئ وقيم المجتمع الذي ينتمي الطفل.

وإلى جانب الأسرة والمدرسة توجد وسائل الإعلام التي لا يقل دورها عن سابقيها بل يعدها المختصون أكثر تأثيرا في الطفل بما فيها التلفاز والأنترنيت وغيرها..[6]

وهناك مؤسسات أخرى لها جانب في تشكيل شخصية الطفل الاجتماعية .

كل هذه الدراسات والبحوث توحي باهتمام هذا العلم بالطفل على وجه الخصوص أكثر من فئات المجتمع الأخرى وهذا أمرٌ منطقي فالإنسان على شبّ عليه.

3- الطفـــل والسياسة:

قد يكون هذا العنوان استفزازيا نوعا ما للبعض ، لأن فيه تجاوزا لحرمة البراءة والطفولة بإقحامها مجالا أكثر ما يميزه النفاق ، ولكن العالم اليوم صار يولي لما يسمى بالتنشئة السياسية اهتماما بالغاً حفاظا على مستقبل أممهم ، وإذا ما

---

[5] المرجع نفسه، ص 106

[6] انظر : المرجع السابق ، ص 118 - 122

تفحصنا معنى مصطلح التنشئة السياسية فإننا نجد جذورها ضاربة في أعماق التاريخ وهدفها تحقيق المواطنة.[7]

ففي القرن السادس قبل الميلاد أرجع الفيلسوف الصيني "كونفشيوس" فساد الحكم إلى غياب المواطنة الصالحة بسبب عجز الأسرة عن تلقين قيم الفضيلة والمصلحة العامة ، ولذلك السبب دعا جهاز الدولة إلى تحمل مهمه تعليم الناشئة ابتغاء خلق نظام سليم.[8]

ويرى الفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" تسلح حاكم المدينة بالمعرفة النظرية والعلمية ضرورة ملحة ، حتى تيسر له أسباب القيادة وتوجيه سلوكهم.[9]

وقد ظهرت عدة اتجاهات في تحديد مفهوم التنشئة السياسية لعل أبرزها الاتجاه الذي يعتبرها عملية يتم بمقتضاها تلقين الأطفال القيم والمعارف والمعايير والاتجاهات السياسية المستقرة في خبرة وذاكرة المجتمع ، وعند تحليل هذا الاتجاه نجده يركز على تلقين القافة السياسية السائدة في المجتمع لأطفاله وأفراده.[10]

ويظهر من خلال ما تقدم مدى عناية المجتمعات بالطفل في الجانب السياسي ، وهو اهتمام مبرر باعتبار أن الطفل هو الخليفة ، هو الحاكم المستقبلي والوزير ، وقائد الجيش كذلك ، وعليه وجب أن يكون مشبعا بالقيم والمبادئ والأفكار التي يقوم عليه مجتمعه الذي ينتمي إليه.

4- الطفـــل والدين الإسلامي:

اعتنى الدين الإسلامي بالطفل عناية بالغة ، ودليل ذلك أن شرع حقوقا له وهو جنين إلى غاية بلوغه ، وسنبين فيما يلي الجوانب التي اهتم فيها الإسلام بالطفل.

---

[7] عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2001 ، ص 445

[8] قارح سماح ، التغير الاجتماعي والتنشئة السياسية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 2 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2008 ، ص 3.

[9] عبد الحليم الزيات ، التنمية السياسية النشأة والتطور والاتجاهات ، ص 16.

[10] قارح سماح ، المرجع نفسه ، ص 5.

سنّ الإسلام حقوقا للجنين والتي تتعلق بسلامته بالدعاء له بالصلاح ، وإباحة الفطر في رمضان للمرأة الحامل إن خافت على جنينها ، وتحريم الإجهاض مهما كانت الأسباب ، وتأجيل إقامة الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها وذلك حرمة للجنين وإبقاءً على حياته ، ولنا أن نتأمل هذا الاهتمام كله بالجنين قبل ولادته الذي يعبر عن قيمة الإنسان.[11]

لم يقف الإسلام عند هذا الحدّ فاستحبّ البشارة بالمولود ، قال تعالى : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى)[12] ، وهذه التهنئة تكون للذكر والأنثى على حد سواء ودون تفرقة.

ثم سنّ الإسلام أن يؤذَن في الأذن اليمنى للمولود ، والإقامة في أذنه اليسرى لإبعاد الشيطان ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين)[13]

ومن الحقوق التي أقرها الإسلام للطفل "التسمية" ، وللاسم تأثير نفسي كبير لذلك وجب مراعاة ما يستحب وما يكره في التسمية لأن يكون الاسم حسنا وذا معنى.

ثم أقرّ العقيقة وهي الذبيحة عن المولود تكريما له وشكراً لله عز وجل على نعمة الذرية .[14]

ومن الحقوق التي أقرها كذلك "الختان" الذي يعد رأس الفطرة وشعار الإسلام وعنوان الشريعة وهو واجب على الذكور ... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة ، الختان والاستحداد ، ونتف الإبط ، وتقليم

---

[11] سيما راتب عدنان أبو رموز ، تربية الطفل في الإسلام ، ص 21-23

[12] سورة آل عمران ، الآية 39

[13] النووي يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ،تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000 ، ص

[14] انظر : عمارة محمود محمد ، تربية الأولاد في الإسلام ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، (د ط) ، (د ت) ، ص 82

الأظافر ، وقص الشارب) [15] ، وما شرع ذلك إلاّ لحكمه الكثيرة الدينية منها والصحية ، وكلما عجل بالختان كان ذلك أفضل للطفل.

ومن أعظم الحقوق التي شرعها الإسلام للطفل "الرضاعة" ، قال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) [16] ، يقول السيد قطب في هذا الشأن: "والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين لأنّه - سبحانه وتعالى - يعلم أنّ هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل"[17] ، ولا يختلف اثنان حول قيمة حليب الأم وفائدته بالنسبة للطفل.

وللطفل حق الحضانة والولاية فـ " تربية الطفل في أحضان والديه تهيئ له كل أسباب النمو الصالح جسمياً وعقلياً وتُعِدّه نفسيا لاستقبال الحياة والنجاح فيها"[18]

ومن الشروط التي أقرها الدين في الحضانة ما يوحي بالاهتمام البالغ بالطفل نفسيا وجسديا مثل شرط عدم زواج المرأة بأجنبي الذي لن يعطف على الطفل كأبيه ، بالإضافة إلى شرط القدرة على صيانة الطفل وحمايته ، وكذا أن تكون أمينة على خلقه ودينه[19].

إن ضمان حقوق الطفل التي أقرها الإسلام من شأنها أن تعد لنا فردا سوياً من جميع المناحي ، هذه الحقوق من جهة أخرى تبين لنا المكانة المميزة والعظيمة التي يحتلها الطفل في الإسلام.

5- الطفـــل والأدب:

---

[15] علوان عبد الله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام ، القاهرة ، ط 6 ، 1983 ، ج 1 ، ص 114.
[16] سورة البقرة ، الآية : 233
[17] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 ، ج 1 ، ص 254.
[18] سهام مهدي جبار ، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 163
[19] المرجع السابق ، ص 165.

إنّ الحكم على مكانة الطّفل في الأدب ليس بالأمر الهين لتضارب آراء الباحثين والنّقاد ، خاصة فيما يتعلق بالأدب العربي ، من ناحية أنه جزء من العمل الأدبي أو متلقيا له .

نشر الأستاذ محمد عمر جنادي مقالا بعنوان "في مصنع خيال الطفل" يقر من خلاله أن صورة الطفل في الأدب العربي والعالمي تتشكل في مساحة شاسعة من النصوص وعبر مستويات ثقافية مختلفة ، لا تكاد معظم الروايات تخلو من شخصية الطفل ، ذلك لأن الطفولة تجربة كونية ومرحلة يتشاركها كل البشر.[20]

قد يكون هذا القول صائباً إلى حدّ بعيد ، فلم نألف أن تخلو قصص جداتنا من شخصية الطفل وبأوصاف عديدة.

يرى الناقد العراقي علي حداد في كتابه "اليد والبرعم" أن حضور شخصية الطفل في الأدب شعرا وقصة ومسرحية شأنها شأن حضور شخصية الرجل أو المرأة أو الشيخ أو أصحاب المهن والحرف المختلفة وسواها من النماذج الإنسانية من دون أن يكون وجود أي من تلك الشخصيات مدعاة للقول أن النص يتوجه إلى هذه الفئة الإنسانية أو تلك.[21]

وعن مدى تجسيد شخصية الطفل بشكل فعلي يقول محمد عمر جنادي "الطفل لا يمثل نفسه داخل الأدب ، بل يجري تمثيله وتقديمه من قبل الكبار ، الطفل في الأدب هو طفل مستعاد يتحدث الآخر –الكبير- نيابة عنه ، وحتى في السير الذاتية فإنّ الطفولة يعاد رسمها بواسطة الذاكرة"[22] ، هذا قد يعني أن هناك بعض التعديلات على صورة الطفل في الأعمال الأدبية إما بزيادة أو نقصان.

---

[20] انظر : محمد عمر جنادي ، في مصنع خيال الطفل ، https://manshoor.com/life/children-portrayed-in-literature/

[21] انظر: د/ علي حداد ، اليد والبرعم دراسات في أدب الطفل ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، (ط1) ، 2000 ، ص 12

[22] محمد عمر جنادي ، في مصنع خيال الطفل ، الموقع السابق.

ومن المسلم به أن كثيرا من الأعمال التي جعلت من الطفل جزءا منها يهدف أصحابها إلى إيصال رسائل ذات أبعادٍ إما دينية أو اجتماعية أو حتى نفسية وما سنلمسه من خلال النماذج التي سنمر عليها في الفصل الثاني.

الفصل الثاني:

"صورة الطفل في الأجناس الأدبية القديمة"

1- صورة الطفل في الأسطورة والحكاية الشعبية

2- صورة الطفل في الشعر العربي القديم

3- صورة الطفل في المقامات.

4- صورة الطفل في الوصايا.

1- صورة الطفل في الأسطورة والحكاية الشعبية:

قبل الخوض في صور الطفل من خلال الأسطورة لابد لنا من الاطلاع على مفهوم هذا الجنس الأدبي وأبرز خصائصه التي تميزه عن باقي الأجناس.

1-1- مفهوم الأسطورة والحكاية الشعبية:

يرى جيرالد لارسون أن الأسطورة عبارة عن حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوخة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية ، تعرض عالمها وتجاربها فرديا أو جماعيا ، كما أنّها تفسر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقرابين وأعمال الأبطال[23].

ومن وجهة نظر رايرتس سميث فإنّ الأسطورة ليست جزءاً جوهريا من دين قديم بل تستنبط من العادات والتقاليد والشعائر ، وهي تفسير للشعائر الدينية وتأويل لها[24].

أمّا الحكاية الشعبية فيعرفها الباحث سعيدي محمد الحكاية الشعبية كالتالي:"هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر كالخيال و الخوارق و العجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسيا و اجتماعيا و ثقافيا"[25]

وما نود الفصل فيه هو أنّ لكل أسطورة أو حكاية شعبية إطارها الاجتماعي والتاريخي والديني والسياسي والأدبي.

والسؤال المطروح ، ما الصورة التي تقمصها الطفل في هذين الجنسين الأدبيين؟

1-2- الطفل الضحية:

---

23 قيس الثوري :الأساطير وعلم الأجناس، الموصل، جامع الموصل، العراق، 1981 ،ص10

24 محمد عبد المقيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب ، الدار الحديثة للطباعة، بيروت، 1981 ،ص18

25 سي كبير التجاني، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر، العدد 12 ،نقلا عن ثريا التجاني، دارسة اجتماعية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، واد سوف نموذجا ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،ص 8.

تتداول كثير من المجتمعات أساطير عديدة ، القصد منها تخويف الأطفال لغاية النوم أو ردعهم عن الشغب ، بما في ذلك المجتمع العربي ، ففي مصر يتداول الناس أسطورة "– أمنا الغولة –"، يقال أنّها ظهرت في عهد الفراعنة، وأن ضحاياها سبعة أطفال، لكن ذكراها ظلت مصدر رعب للأطفال عبر الأجيال[26].

ويتم تجسيد "أمنا الغولة" في صورة امرأة ورأس أنثى الأسد، وتعد رمزا لإخافة الأطفال.

وعن أصل الحكاية، يقول مجدي شاكر، كبير الأثريين في وزارة الآثار المصرية: "أمنا الغولة مجسدة في "معبد الإله بتاح" شمال معبد أمون في الكرنك، حيث يوجد تمثال لـ"الإلهة سخمت" مصنوعا من الديوريت الأسود، وهو يمثلها في هيئة جسم إنسان وعليه رأس أنثى أسد صارمة الملامح، ذات نظرة عدوانية، وكان المصريون يلقبونها بالقوية المدمرة.

وتابع شاكر: "ترددت أناشيد منذ العصر الفرعوني لاتقاء شرها، وأن الفراعنة استخدموها لترهيب الأطفال وتخويفهم بها."

ولفت كبير الأثريين المصريين إلى أن إحدى الأساطير التي رسخت قوة "أمنا الغولة" بدأت من القرى المجاورة لمعبد الكرنك، مشيرا إلى أنه في القرن الـ18 اختفى أحد الأطفال من تلك القرى.

وكان أحد الأوربيين يتفقد المعبد ويسعى لأخذ بعض الحجارة الملونة من المنطقة التي يقع فيها تمثال "سخمت" المعروف بـ"أمنا الغولة" وفي ذلك الوقت شاهد الرجل الأوروبي لحظة اختفاء الطفل، فهرب على الفور ولم يعثر الأهالي على جثته، فترسخت قدرة أمنا الغولة على خطف الأطفال وإخفائهم، وفقا لكبير الأثريين المصريين، الذي أوضح أن هذا الطفل كان أول الضحايا.

---

[26] انظر: موقع "اليوم السابع" الإلكتروني https://www.youm7.com/story/2017/12/6

وأضاف: "اعتقد الأهالي أن "سخمت" هي من التهمت الطفل، وهو ما ساهم في ترسيخ حكاية "أمنا الغولة"، التي تأكل الأطفال وعرفت البؤرة التي خلفها انهيار الحائط بـ"بؤرة العيال"، ومازال المكان يحمل نفس الاسم حتى اليوم، حسبما ذكرت "سبوتنيك."

وفي القرن التاسع عشر، حاول أحد المهندسين الفرنسيين ترميم المعبد، وحاول الاستعانة بشباب القرية للعمل معه، لكنهم رفضوا العمل خاصة في "معبد بتاح" خوفا من تمثال "أمنا الغولة."

وتطورت الأسطورة حتى أن بعض الرّواة قالوا إنّ عدد الأطفال الذين التهمتهم "أمنا الغولة" وصل إلى سبعة أطفال[27].

فصورة الطفل في هذه الأسطورة هي صورة الضحية ، هدف هذه الإلهة "سخمت" هو خطف الأطفال ، والمجتمع المصري صار يتداولها لغرض تخويف الطفل.

1- 3- الطفل اليتيم :

يحيلنا هذا العنوان إلى حكاية منسوخة عن قوى غيبية يتداولها المجتمع الجزائري تقع تحت عنوان "بقرة اليتامى" والتي نقلت بالعامية وأعاد صياغتها بعض الأدباء بالفصحى ، وملخص مضمونها يدور حول أخوين (ولد وبنت) فقدا أمهما وكانت آخر وصية لها للأب أن يعتني بالولدين ويحافظ على البقرة التي لا يملكون غيرها ، تزوج الأب بعد وفاة أم الولدين وأنجب من الثانية بنتا ، الأمر الذي أثار الأنانية لدى الزوجة الثانية والتي أظهرت عداءها للولدين من خلال حرمانهما من الأكل والشرب ، فلجأ الأخيران إلى البقرة يرضعان منها الحليب ، وكان يحاولان تحاشي زوجة أبيهما.

---

[27] انظر : موقع "اليوم السابع" الإلكتروني https://www.youm7.com/story/2017/12/6

لاحظت الزوجة أن الولدين يزدادان جمالا ويكبران بشكل سليم عكس ابنتها ، فدعاها الأمر إلى إرسال ابنتها لتقفي أثرهما فاكتشفت السرّ وأرادت التقرب من البقرة ولكن الأخيرة لطمتها في عينها ففقأتها ، وهو ما أثار سخط الزوجة فطالبت زوجها ببيع البقرة ، أخذ برأيها وصار يتداول على السوق من أجل بيعها ولكن الناس يرفضون شراءها لأنها لليتامى فضلوا يرددون مقولة " بقرة اليتامى لا تباع ولا تشترى" ، فما من الزوجة إلى تخادع زوجها مرة بزي عجوز في السوق في يوم جمعة لتخبره أن بقرة اليتامى لا تباع ولا تشترى وإنما تذبح ، ففعل ذلك فأحزن هذا الأمر الولدين اللذين احتفظا بقرنيها ودفناها قرب قبر أمهما ، فلما عادا في اليوم الموالي وجدا بدل القرنين نبعين الأول يخرج منه العسل والآخر زبدة ، فكان لهما مصدر قوت ، ما حافظ على صحتهما وجمالهما ، فاحتارت الزوجة للأمر فأرسلت ابنتها ثانية فلما وصلت النبعين تذوقت العسل والزبدة ، فأصابها ألم شديد وصارت تتقيأ الدم فأثار ذلك سخط الزوجة مرة ثانية وهمت بالذهاب إلى المصدر وتتوعد الولدين بالقتل ، وهو الأمر الذي دفع بهما إلى الهرب وفي خضم ذلك مروا بنهر شرب منه الولد فتحول إلى غزال ، فحزنت أخته حزنا شديدا ، ولكنها لم تتخلى عن أخيها وصاحبته إلى أن وقعا يوما بين يدي صيادين كان ابن السلطان ضمنهم فأعجب بالفتاة التي روت كامل القصة فتزوجها ، وساعدها لتجد حكيما ليعيد أخاها إلى حالته الطبيعة وكان له ذلك ، وبعد مرور فترة من الزمن شدهما الحنين إلى أبيها ، فزارا بلدتهما فوجدا أن النار قد نالت منه ومن منزله وزوجته وابنته[28].

وهي حكاية تسعى إلى بيان قدسية حقّ الطفل اليتيم وانتقام القوى الغيبية من كل من يحاول المساس به أو بحقه ، وهي صورة تثير عاطفة الشفقة والتضامن مع شخصية الطفل اليتيم ، وقد كانت النهاية سعيدة بالنسبة لهما.

---

[28] انظر : رحمونة محاجي : أزهار نيسان في ذكر محاسن تلمسان (حكايات وأساطير) ، منشورات الشهاب ، الجزائر ، ط1 ،2011 ، ص: 59 – 62.

وفي خضم الحكاية كذلك نلمس صورة أخرى للطفلة المغرر بها من قبل أمّها التي لم تكن تأخذ بعين الاعتبار عواقب إدخال ابنتها في تفكيرها الأناني المشبع بالشرّ.

2- صورة الطفل في الشعر:

يعدّ الشعر ديوان العرب وسجل تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، وقد كان الخيط الوحيد الذي يربطنا بمرحلة ما قبل الإسلام لاعتماد العرب على المشافهة في ذلك الزمن ، ونقل لنا الشعراء نظرتهم لمختلف الأشياء والمخلوقات ، بما في ذلك الطفل ، فقد تعددت صوره في الشعر العربي القديم ، وعبرت في كثير من الأحيان عن خلفيات إيديولوجيا وأفكار ومعتقدات ، وسنأتي فيما يلي على أبرز صوره.

2-1- الطفل الإله:

من خلال تتبعنا لصورة الطفل في الشعر العربي القديم وجدناها تتمتع بقدر كبير من الإشارات الدينية ، فصورته في الفكر الجاهلي على سبيل المثال هي امتداد لصورته في التراث الإنساني ، صورة ارتفعت به من مرتبة البشرية إلى الألوهية المطلقة والتي أسبغت عليه مظاهر التقديس ، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا وليدٌ تخرّ له الجبابر ساجدينا[29]

صورة الطفل هنا هي صورة الإله المعبود ، هذا الإله الذي يخر له العظماء والملوك ويجبرون على السجود له في خشوع وسكون.

ومما يوحي بقدسية الطفل لدى المجتمع الجاهلي ارتباطه بعديد المعتقدات التي جسدها الشعر ، ومثال ذلك ارتباط ختان الطفل بالإله القمر[30] ، فقد كان العرب يعتقدون أن من يولد في القمراء يولد مختونا ، وقد أشار امرؤ القيس إلى هذه الظاهرة وكان قد دخل مع قيصر الحمّام فرآه أقلف:

---

[29] عمرو بن كلثوم ، الديوان ،دار الكتاب العربي ، ط 1 ، 1991، ص 91

[30] ربى شحاده صابر سماره ، صورة الطفل في الشعر الجاهلي ، 2013 ، ص 100

إني حلفت يمينا غير كاذبة لأنت أقلف إلا ما جنى القمر[31]

في البيت إشارة إلى إيمان العرب بقدرة القمر الخارقة في التأثير على الأطفال ، وهو تأكيد على اعتقادهم أن هؤلاء الأطفال من نسل هذا الإله.

2-2- الطّفل المُحزِن المُسعِد:

لقد كان للطفل عبر الأزمنة سببا في سعادة الأسر، فلهذا المخلوق قدرة على التلاعب بمشاعرنا فكثيرا ما ننسى أحزاننا وهموما أمام ضحكة بريئة أو حركة عفوية تصدر منه.

هذه القوة ظهرت جلية في شعرنا العربي القديم ، من ذلك ما ورد على لسان زوجة أبي حمزة الضبي الذي هجرها ، وهو الأمر أحزنها فرددت قائلة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلــد البنينا تالله ما ذلك فـــي أيدينا

وإنّما نأخــذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعـــــوه فينا[32]

فنلاحظ من خلال هذه الأبيات الأثر السيء على حالة الأم النفسية بسبب عدم إنجابها للأولاد ، فسيطر عليها الحزن والألم.

ولجأت بعض النساء إلى التعبير عن حالتهن النفسية عن طريق ترقيص أطفالهن ، فهذه فاطمة بنت أسد ترقص ابنها وتغني له فتقول:

إن عقيلا كاسمه عقيل وبيبي الملفف المحمول

أنت تكون السيد النبيل إذا تهب شمأل بليـــــل

---

[31] أحمد عبد الرحمن ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، ط 1، 2015، ص 97.

[32] الجاحظ أبو عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ص 186

يعطي رجال الحي أو ينيل[33]

فاختلطت مشاعر الحب والفرح عند فاطمة وهي تغني لطفلها ، ويحدوها الأمل فيما سيصبح مستقبلا ، ترسم له طريقا يشبّ عليه.

فنلاحظ أن للأطفال أثرا نفسيا ، فحضورهم يسعدنا وغيابهم يحزننا ، وهو الجانب النفسي الذي عبّر عنه الشعراء العرب قديما.

2-3- الطفل الفقير الجائع:

لم يغيّب الشعر العربي الحالة الاجتماعية عن موضوعاته ، بل أطنب في وصفها ولم يستثن أي فئة من المجتمع ، فقد صور لنا الطفل في حالات مختلفة منها حالة الفقر والجوع ، والشواهد على ذلك كثيرة ، من ذلك ما ورده على لسان حاتمٌ الطائي حين لجأ إلى ذبح ناقته لإطعام الأطفال والنّساء فقال:

لمّا رأيت الناس هرّت كلابهم ضربت بسيفي ساق أفعى فخرّت

فقلت لأصباه صغــارٍ ونسوةٍ بشهباء من ليـــــلِ الثلاثين قرّت

عليكم من الشطّين كلّ وريّة إذا النار مست جانبيها ارمعلّــت[34]

فحاتم بهذا الفعل يرسخ قيمة اجتماعية لدى المجتمع العربي وهي الجود والكرم.

ومن المواقف الشعرية التي توضح صورة الأطفال الضعفاء الجائعين موقف الحطيئة مع عمر رضي الله عنه حينما سجنه أمير المؤمنين ، فاسترسل الحطيئة يستلطف قلب عمر رأفة بالصغار الضعاف ، فيقول:

ماذا تقول لأفـــــراخ بذي مرخٍ زعب الحواصل لا ماء ولا شجر

غادرت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فارحم هداك مليك الناس يا عمر[35]

---

[33] ابن دريد أبو بكر بن محمد الحسن ، الاشتقاق ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، 1991 ، ج 1 ، ص 75

[34] حاتم الطائي ، الديوان، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ص 11

وهي صورة حاول من خلالها الشاعر وضع أطفاله موضع الفراخ التي لا حول لها ولا قوة ، لا يمكنهم تحصيل قوتهم لولا والدهم.

نلاحظ على الوجه العام أن صورة الطفل في الشعر العربي القديم اتخذت أبعادا مختلفة منها ما هو نفسي كالسعادة والحزن ومنها ما هو ديني كالألوهية وآخر اجتماعي تجسد في الفقر والحاجة والضعف.

3- صورة الطفل في المقامات:

تعدّ المقامات من الفنون النثرية التي ظهرت في القرن الرابع للهجرة وازدهرت في عصر الانحطاط فما مفهومها ؟

3-1- مفهوم المقامة:

هي شبه قصة قصيرة مسجوعة في أغلب الأحيان تتضمن ملحاً ونوادر وعظات ، كان الأدباء يتبارون فيها إظهاراً لبراعتهم اللغوية والأدبية ، ويمتاز هذا الفنّ بأسلوب سردي حكائي خاص في بيان غرضه وخطابه وهدفه[36] .

ولعل من أبرز من كتب في هذا الفن "بديع الزمان الهمذاني"[37] ، و"الحريري"[38] ، واعتاد أصحاب المقامات أن يتخذوا لهم راويا يتحدثون باسمه ، وقد جعل البديع راويه عيسى بن هشام ، كما اتخذ الحريري الحرث بن همام.[39]

وقد تعددت صور الطفل في هذا الجنس الأدبي نذكر منها:

3-2- الطفل العاقّ:

أورد الحريري في مقامته الموسومة بـ: المقامة الصعدية مخاصمة أبي زيد عند القاضي مع ابنه ينسبه إلى العقوق وملخص المقامة أن الرجل يعيش في فقر

---

35 ابن كثير الحافظ أبو الفداء ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1992 ، ج 8 ، ص 98.

36 انظر: محمد هادي مرادي ، فن المقامات ، مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ص 124

37 بديع الزمان الهمذاني: كاتب مترسل وشاعر مجيد نشأ بهمذان الفارسية ولد 969 توفي 1007.

38 الحريري هو القاسم بن علي ولد في مشان قرب البصرة ولد 1054 ، وتوفي 1122.

39 انظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني ، شرح: محمد محي الدين ، مطبعة المعاهد ، مصر ، 1923 ، ص 8.

مدقع الأمر الذي جعله يطلب من ابنه التسول ، ولكن الطفل أخذته عزة النفس ورفض ذلك وأنشد أبياتا:

إرْضَ بأدنى العيشِ واشْكُرْ عليْهِ *** شُكْرَ منِ القُلُّ كثيرٌ لدَيْـــــهْ
وجانِبِ الحِرصَ الذي لـــم يزَلْ *** يحُطُّ قدْرَ المُتَراقي إلَيْـــــــهْ
وحامِ عنْ عِرضِكَ واستَبْقِـــــهِ *** كما يُحامي اللّيْثُ عنْ لِبْدتَيْـــهْ
واصْبِرْ على ما نابَ منْ فاقَـــةٍ *** صبْرَ أولي العزْمِ وأغمِضْ عليْهْ
ولا تُرِقْ ماء المُحَيّا ولـــــــوْ *** خوّلَكَ المسْؤولُ ما في يدَيْـــهْ
فالحُـــرُّ مَنْ إنْ قَذيَتْ عينُـــهُ *** أخْفى قَذى جَفنَيْهِ عن ناظِرَيْـــهْ
ومَنْ إذا أخْلَقَ ديباجُـــــــهُ *** لمْ يرَ أنْ يُخْلِـــــقَ ديباجَتَيْـــهْ[40]

ولكن هذا الكلام لم يعجب الوالد فخاطب الابن قائلا: "صه يا عقق"[41] ، ثم خاطبه بعين عطف قائلا: "ويك يا بني إنّ من أمر بالقناعة ، وزجر عن الضّراعة هم أرباب البضاعة ، وأولو المكسبة بالصناعة فأمّا ذو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ما قيل ألست الذي عارض أباه في ما قال وما حاباه :

لا تقْعُدَنّ على ضُرٍّ ومسْغَبَـــــةٍ *** لكـــيْ يُقالَ عزيزُ النّفسِ مُصطَبِرُ
وانظُرْ بعينِكَ هل أرضٌ مُعطّـــــةٌ *** منَ النّباتِ كأرضٍ حفّهـا الشّجَـرُ
فعَدِّ عمّا تُشيرُ الأغْبِياءُ بـــــــهِ *** فأيُّ فضْلٍ لعودٍ مـا لـهُ ثـمَـــــــرُ
وارْحَلْ رِكابَكَ عن ربْعٍ ظمئتَ بـــه *** إلى الجَنابِ الذي يَهمي بهِ المطَـرُ
واستَنزِلِ الرّيَّ من دَرّ السّحابِ فإنْ *** بُلّتْ يَداكَ بهِ فليَهنِكَ الـظّـفَـــــرُ
وإنْ رُدِدتَ فما في الرّدّ مَنقَصَـــــةٌ *** عليكَ قد رُدّ موسى قبلُ والخَضِرُ[42]

فلمّا رأى القاضي تنافي قول الفتى وتلونه صبّ عليه جامّ غضبه ، ثم صار الولد يتودد ويستعطف ، وأظهر ندمه لأبيه.

تظهر صورة العقوق جلية في المقامة إذ أن الولد لم يراعي ظرف أبيه ، وهي صورة تحمل دلالات اجتماعية من جهة ، ونفسية من جهة أخرى.

---

[40] الحريري ، مقامات الحريري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ط) ، 1978 ، ص 304-305
[41] المرجع السابق ، ص 305
[42] الحريري ، المرجع السابق ، ص 305- 306

3-2- الطفل المبدع :

ورد في "المقامة الحلبية" للحريري رواية أبي زيد معلم الصبيان العشرة وهو يطلب منهم الإنشاء في فنون مختلفة ، وقد أبدعوا وأبهروه بفطنتهم وذكائهم وتمكنهم.

فروى الحارث بن همام زيارته إلى حمص الواقعة في حلب يقول :"فأغراني البال الحلو ، والمرح الحلو ، بأن أقصد حمص ، لأصطاف ببقعتها وأسبر رقاعة أهل رقعتها فأسرعت إليها إسراع النجم إذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هريره وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان ، صنوان وغير صنوان ... فما لبث أن أشار بعصيته إلى كبر أصيبيته وقال له : أنشد الأبيات العواطل ، واحذر أن تماطل ، فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث:

أعْدِدْ لحُسّادِكَ حدّ السّــلاحْ *** وأوْرِدْ وِرْدَ السّمـــــــاحْ
وصارِمِ اللّهْوَ ووصْلَ المَـهـا *** وأعمِلِ الكومَ وسُمرَ الرّمـاحْ
واسْعَ لإدْراكِ محَـلٍّ سَمـــا *** عِمـادُهُ لا لادّراعِ الـمِـــراحْ
واللهِ ما السّؤدُدُ حسْوُ الـطِّـلا *** ولا مَرادُ الحَمـــدِ رُودٌ رَداحْ
(....)

فقال له: أحسنت يا بدير يا رأس الدّيرِ، ثمّ قال لتلوه المشتبه بصِنْوِهِ: ادنُ يا نويرة. يا قمَرَ الدُوَيرَةِ فدَنا ولم يتباطأ حتى حلّ منه مقعد المعاطي فقال له: اجْل الأبياتَ العَرائِسَ. وإن لم يكنّ نَفائِسَ. فبَرى القلَم وقَطّ. ثمّ احْتَجَرَ اللّوْحَ وخطّ:

فتَنَتْني فجنّنَتْني تـجَـنّـــــي *** بتَجنٍّ يفْتَنّ غِبَّ تـجَـنّـــي
شغَفَتني بجَفنِ ظَبْيٍ غَضيضٍ *** غنِجٍ يقْتَضي تغَيُّضَ جَفْـني
غَشيَتْني بزِينتَينِ فـشـقّـتْـــ *** ني بزِيٍّ يشِفّ بينَ تثَـنّـــي
(....)

لمّا نظر الشيخ إلى ما حبّره. وتصفّح ما زبره. قال له: بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا[43].

ويظهر من خلال تعليقات الشيخ أن الصبية قد أبدعوا في إنشائهم ، فقد واصل إطراءه إلى آخر صبي ، ثم ختم المقامة بقوله: "أمَا إنّ التعليمَ أشرَفُ صِناعةٍ. وأربَحُ بِضاعةٍ. وأنجَعُ شَفاعةٍ. وأفضَلُ براعَةٍ. وربُّهُ ذو إمْرَةٍ مُطاعَةٍ. وهيبَةٍ مُشاعَةٍ. ورعيّةٍ مِطواعةٍ. يتسيْطَرُ تسيْطُرَ أميرٍ. ويرتِّبُ ترْتيبَ وزيرٍ. ويتحكّمُ تحكُّمَ قَديرٍ. ويتشبّهُ بِذي مُلْكٍ كبيرٍ. إلا أنهُ يخْرَفُ في أمَدٍ يَسيرٍ. ويتّسِمُ بحُمقٍ شَهيرٍ. ويتقلّبُ بعقْلٍ صَغير"[44] .

فبدت صورة الأطفال في هذه المقامة وهم يؤدون أحسن ما جادت به قرائحهم صورة مبدع مفنّ.

4- صورة الطفل في الوصية:

تعددت الأجناس الأدبية العربية ، وفي زحمتها برزت الوصية كفن نثري لها مكانتها وخصائصها ، فما المقصود بها؟

4-1- مفهوم الوصية:

إن المقصود بالوصية تناقل العبر ، وتوجيه الدروس فقد جاءت في غير موضع من الشعر كقول عنترة :

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم[45]

ومنه ما جاء على لسان عبد قيس بن خفاف البرجمي:

أوصيك إيصاء امرئ لك ناصحٍ طبن بريب الدهر غير مغفلِ[46]

---

[43] الحريري ، مقامات الحريري ، ص 375-378

[44] المرجع السابق ، ص 387

[45] ديوان عنترة ، دار صادر ، بيروت ، (د ط) ، 1992 ، ص 29

[46] المفضل الضبي ، المفضليات ، تح: أحمد شاكر هارون ، دار المعارف القاهرة ، ط 3 ، ص 384

فالوصية من الوصل والاتصال ويتضمن هذا الاتصال المعنيين المادي والمعنوي ... وعادة ما تلتبس بالنصح والإرشاد والوعظ والحكمة .

أمّا الطفل فقد كان له حصة الأسد في تلقي الوصايا لاعتبارات كثيرة أهمها أنه يمثل المستقبل والخليفة ، فأتت صوره متشابهة في أغلب الأحيان.

4-2- الطّفل الأمانة:

نلمس صورة الطفل المؤَمَّن عليه في وصية هارون الرشيد لخلف الأحمر معلم ولده الأمين .قال خلف الأحمر: بعث إليَّ الرشيدُ في تأديب ولده محمد الأمين، فقال:

(يا أحمرُ، إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة؛ فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين:
أَقْرِئْهُ القرآن، وعرِّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تَمُرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميتَ ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفَه ، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإنْ أباهما فعليك بالشدة والغلظة)[47]

فالمتمعن في لفظ هارون الرشيد يحس مدى حرصه على ولده وهو يوصي مؤدبه بأن يحسن تأديبه وأن يعامله بالطريقة التي تجب دون وضع اعتبار لمقامه كونه ابن الخليفة ، حتى إن دعا الأمر إلى الغلظة ، كل هذا لأجل ضمان الخلق الحسن لابنه ، فجعله بمثابة الأمانة بين يدي خلف الأحمر.

---

[47] المسعودي أبو الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2005، ج 3 ، ص 254.

خاتمـــــــــة

الجدير بالقول في ختام هذا البحث أنّنا قد استفدنا الكثير منه ، فقد فتح لنا باب الاطلاع على خبايا أدبنا العربي ، خاصة فيما يتعلق بفئات المجتمع ، فالأمر في البداية كان يبدو اعتباطيا ، لنجد بعد هذه الدراسة المقتضبة أن توظيف أو مخاطبة أي شخصية مهما كانت سماتها له اعتبارات وأبعاد مختلفة كتلك التي لمسناها في صورة الطفل التي تعدد أبعادها ، فوجدنا صورا لها بعد نفسي ، حيث بدت شخصية الطفل مؤثرة إلى حد بعيد ، وجدناها محزنة ومفرحة ، ثم داعية للشفقة وغيرها من الانفعالات التي يمكن أن تثيرها في المتلقي.

وإلى جانب البعد النفسي ، لمسنا كذلك البعد الاجتماعي ، الذي حاول المبدعون التعبير عنه من خلال وضع الطفل في صورة توحي أحيانا بالفقر أو الجوع أو الضعف أحيانا أخرى ، وقد كانت هذه الصورة أكثرها تكرارا وبروزا.

أما البعد الديني فقد كان جليا في أدب ما قبل الإسلام ، حين صور الأدب قدسية الطفل ، إلى حد أن وصف بالإله المعبود ، أو باعتباره من نسل القمر أو الشمس.

وهناك أبعاد أخرى لم تتح لنا الفرصة لاكتشافها لأسباب عديدة.

ومن جهة أخرى قد لاحظنا بأن هناك تفاوتا في حضور شخصية الطفل في مختلف الأجناس الأدبية العربية القديمة ، فقد وجدنا أنّ الأجناس الأدبية ذات الطابع القصصي كانت أكثر انفتاحاً على شخصية الطّفل كالأسطورة والحكاية الشعبية والمقامات ، أمّا الشعر العربي القديم فكان حضور الطفل فيه محتشما ويظهر ذكره عرضا غير مقصود إلا في حالات قليلة.

ومما لا شك فيه أن هذا البحث قد فتح لنا شهية الاطلاع أكثر على صورة الطفل في كل جنس أدبي على حدة ، قصد الوقوف العيني على معالم شخصيته ، حضورها وغيابها ، تأثيرها وتأثرها ، وكذا أبعادها.

الملخص:

يحمل الأدب العربي في طياته على اختلاف العصور والأزمنة صورا مختلفة للواقع ومكوناته لذلك نجد النقاد يصفونه بالمرآة ولكنها ليست بالضرورة مستوية ، ومن بين ما صوره الأدب "الطفل" الذي تجسد في الأعمال الأدبية القديمة في صور عديدة مجازية كانت أم حقيقية تعكس واقع الأديب وفي أغلبها تعبر عن أفكار وإيديولوجيات المجتمع العربي ، ومن أبرز الصفات التي يعد الطفل لها رمزا ، البراءة والصدق والضعف وقلة الحيلة ، وكل من هذه المعاني عبر عنها المبدعون بأساليب مختلفة ومن مناحي عديدة ، فصوروا الطفل اليتيم والفقير المعدم والضحية وغيره ...

Résumé :

La littérature arabe tient dans son contenu sur la différence des âges et du temps ,des autres images différentes de la réalité c'est pourquoi les gens qui critiquent il la comparent avec un miroir, mais ce dernier n'est pas nécessaire de même niveau et d'âpres ce que la littérature prescrit « l'enfant « ce qui s'est traduit dans l'ancienne littérature arabe dans plusieurs images métaphoriques ou réelle, elle traduit la société arabe :l'enfant est le symbole de la vérité la faiblesse ;les auteurs l'ont produit de plusieurs façons ils ont filmé l'enfant orphelin, victime … etc

Abstract:

The Arabic literature holds in its content on the difference of ages and time, other different images of the reality that is why the people who criticize it compare it with a mirror, but this

one is not necessary of the same level and From what literature prescribes "the child" what has been translated in ancient Arabic literature into several metaphorical or real images, it translates Arab society: the child is the symbol of truth, weakness; the authors produced it in several ways they filmed the child orphan, victim...

قائمـــة المصادر والمراجـــــــع:

1. القرآن الكريم
2. أبو الفداء الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1992
3. ألفت حقي ، سيكولوجية الطفل ، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ط) ، 1996
4. ابن دريد أبو بكر بن محمد الحسن ، الاشتقاق ، تح: عبد السلام هارون ، دار الجيل للطباعة و النشر ، بيروت ، ج 1 ، ط 1 ، 1991.
1. أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة، ط 7 ، 1968.
2. أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصر ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، 1429 هـ / 2008 م.
3. أحمد عبد الرحمن ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجنادرية للنشر والتوزيع ،ط 1، 2015
4. بديع الزمان الهمذاني ، مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح: محمد محي الدين ، مطبعة المعاهد ، مصر ، 1923
5. الجاحظ أبو عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط7 ، 1998.
6. الحريري ، مقامات الحريري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ط) ، 1978.
7. رحمونة محاجي : أزهار نيسان في ذكر محاسن تلمسان (حكايات وأساطير) ، منشورات الشهاب ، الجزائر ، ط1 ،2011 .
8. عبد الحليم الزيات ، التنمية السياسية ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، 1986.
9. عبد الله أحمد ، بناء الأسرة الفاضلة ، دار البيان العربي ، بيروت ، 1410 هـ .
10. عبد الله محمد عبد الرحمن ، علم الاجتماع السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت، ط 1 ، 2001 .
11. عمارة محمود محمد ، تربية الأولاد في الإسلام ، مكتبة الإيمان ، المنصورة، (د ط)،(د ت)
12. علوان عبد الله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام ، القاهرة ،ط 6 ، 1983
13. علي حداد ، اليد والبرعم دراسات في أدب الطفل ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، (ط1) ، 2000
14. عبد المقيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب ، الدار الحديثة للطباعة، بيروت، 1981.
15. سهام مهدي جبار ، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 1997.

16. السيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 ، ج 1
17. قيس الثوري :الأساطير وعلم الأجناس، الموصل، جامع الموصل، العراق، 1981
18. المسعودي أبو الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2005، ج 3.
19. المفضل الضبي ، المفضليات ، تح: أحمد شاكر هارون ، دار المعارف القاهرة ، ط 3
20. محمد الرازي ، مختار الصحاح ، دار المعاجم في مكتبة لبنان ، بيروت ، د.ط ، 1986.
21. مجمع اللغة العربية مصر ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط 4 ، 1425 هـ / 2005 م.
22. النووي يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ،تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000

الدواوين الشعريـــــــــــــــة:

23. عمرو بن كلثوم ، الديوان ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1 ، 1991
24. حاتم الطائي ، الديوان ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1 ، 1994
25. عنترة بن شداد ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، (د ط) ، 1992

المجلات والرسائل الجامعيـــــــــــــــة:

26. ربى شحاده صابر سماره ، صورة الطفل في الشعر الجاهلي ، إشراف د/ إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، نابلس فلسطين ، 2013.
27. زينب إبراهيم العزبي ، علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها ، كلية الآداب قسم الاجتماع.
28. قارح سماح ، التغير الاجتماعي والتنشئة السياسية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 2 ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2008.
29. سيما راتب عدنان أبو رموز ، تربية الطفل في الإسلام، ماجستير دراسات إسلامية.
30. سي كبير التجاني، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر، العدد 12 ،نقلا عن ثريا التجاني، دارسة اجتماعية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، واد سوف نموذجا ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.
31. محمد هادي مرادي ، فن المقامات ، مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى ، العدد الرابع.

المواقع الإلكترونيـــــــــــة:

32. محمد عمر جنادي ، في مصنع خيال الطفل ، /https://manshoor.com/life/children-portrayed-in-literature

33. موقع "اليوم السابع" الإلكتروني
https://www.youm7.com/story/2017/12/6

فهرس
الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل	4
1- معنى الطفل	5
1-1- معنى الطفل في اللغة	5
1-2- معنى الطفل في الاصطلاح	6
2- معنى الطفولة	6
2-1- معنى الطفولة في اللغة	7
2-2- معنى الطفولة في الاصطلاح	8
الفصل الأول: موقع الطفل من الدراسة والعقائد والإبداع	9
1- الطفل وعلم النفس	10
2- الطفل وعلم الاجتماع	11
3- الطفل والسياسة	12
4- الطفل والدين الإسلامي	13
5- الطفل والأدب	15
الفصل الثاني: صورة الطفل في الأجناس الأدبية القديمة	17
1- صورة الطفل في الأسطورة والحكاية الشعبية	18
1-1- مفهوم الأسطورة والحكاية الشعبية	18
1-1- الطفل الضحية	18
1-2- الطفل اليتيم	20
2- صورة الطفل في الشعر العربي القديم	21
2-1- صورة الطفل الإله	21
2-2- الطفل المحزن المسعد	22
2-3- الطفل الفقير الجائع.	23
3- صورة الطفل في المقامات:	24
3-1- مفهوم المقامة	24
3-2- الطفل العاقّ	25
3-2- الطفل المبدع	26
4- صورة الطفل في الوصية	27
4-1- مفهوم الوصية	27
4-2- الطفل الأمانة	28
خاتمـــة	30
ملخص	33
قائمة المصادر والمراجع	34
فهرس الموضوعات	37